النّقد الثّقافي؛ المفهوم، الرواد والمدارس

Cultural criticism; the concept, pioneers and schools

د.رابطي أحمد[1] / جامعة محمد لمين دباغين – سطيف2 (الجزائر)، ahmedrabti96@gmail.com

تاريخ الاستلام: 10 / 02 / 2022 تاريخ القبول: 10/ 06/ 2022 تاريخ النشر: 30 / 06 / 2022

ملخص:

لقد شكلت مرحلة مابعد الحداثة ثورة عنيفة على النظريات القرائية السابقة التي نظرت إلى النص/الخطاب باعتباره نتاجا جماليا وبلاغيا، يحمل رسالة إلى القارئ ليكتشفها هذا الأخير من خلال عملية تأويلية لسطور النص.هذه الرؤيا شكلت عائقا لنظريات ماقبل الحداثة من حيث استبعادها لما يحمله النص من نتاجات ثقافية تختبئ تحت عباءة سطوره ولا يتمكن من استنطاقها إلّا منهج قرائي جديد هو النقد الثقافي، عبر آليات جديدة لا تنظر إلى الجانب الجمالي الظاهري، بل تكشف عن الجانب القبحي المستتر الذي صنعته ثقافة تولد من خلال بيئتها الزمانية والمكانية.

الكلمات المفتاحية: الثقافة - النقد الثقافي - النص -المهمّش - المركز.

Abstract:

The postmodern stage constituted a violent revolution against the previous reading theories that viewed the text/discourse as an aesthetic and rhetorical product, carrying a message to the reader to be discovered by the latter through an interpretive process of the text lines. Cultural products that hide under the cloak of his lines, and only a new reading approach is able to question them, which is cultural criticism through new mechanisms that do not look at the apparent aesthetic aspect, but rather reveal the hidden ugly side created by a culture that is born through its temporal and spatial environments.

Keywords: *Culture - cultural criticism - text - marginalized - center.*

[1] د.رابطي أحمد ، الإيميل: ahmedrabti96@gmail.com

مقدمة:

جعلت مرحلة مابعد البنيوية النقد الثقافي(cultural criticism) من أهم القضايا النقدية الأدبية التي سطرت لتأسيسها والتركيز عليها ، كحركة تغييرية قادها العديد من والفلاسفة والنقاد في الوطنين الغربي والعربي، ويعتبر حقلا دراسيا خصبا نظرا للنقلة النوعية التي شكل بها معبر الانزياح وطريقة تنقيبية لإسقاط الأدب من عرشه بعدما سيطرت الدراسات الجمالية والبلاغية على هذا العرش وتربعت على عرشه قرونا طويلة من الزمن فشكل بهذه الرغبة الجديدة تحولا جذريا للتفكير الماورائي فبعدما كان الناقد يبحث في مجال الظواهر الإبداعية الجمالية، أصبح يبحث عن منهج جديد مغاير **"يبرز هذا الجديد في السعي إلى إقامة علم للأدب مختلف كنشاط وممارسة عن النقد الأدبي"**[1] .حيث شكل وجهة أخرى للبحث عن المناقب المستترة وراء الخطاب بعيوبها الكامنة. ومن هذا المنطلق الفريد فقد اعتبر النقد الثقافي نفسه ردة عنيفة النظرية البنيوية اللسانية والسيميائية والنظرية الجمالية التي درست الخطاب الأدبي كظاهرة جمالية وفنية.

1. مفهوم النقد الثقافي cultural criticism:

إنّ **"الدراسات الثقافية لا تعمل فقط على تحليل المنتج الثقافي كما هو، وإنما تتساءل أيضا عن أدوات إنتاجه والعوامل المتحكمة في ذلك الإنتاج"**[2]. وتعتبرالثقافة مصطلحا متعدد الفروع ويمكن اختصارها في مجالين هامين رغم تفرع ميادينها، وهما الجانب المادي) الذي يخص مجال الاختراعات والإبداعات الهندسية التي يجسدها المبدع في قالب فيزيائي، وكذلك النوع الثاني الذي يندرج ضمن الجانب الثقافي الحديث الذي يتطرق إلى النصوص بالبحث المطلق والتنقيب الدقيق فيفككها ويبحث عن جملة من الأنساق المضمرة داخلها فيستنطقها ويخرجها في شكل حقائق للقارئ ومن خلال هذا الأساس فإنه يهتم اهتماما بالغ الأثر بصاحب النص، والنص الأدبي، والسياق، والمقصدية والقارئ والناقد، فهو يستنطق النصوص من حيث صلتها بالايديولوجيات والعوامل التاريخية والساسية والاجتماعية والاقتصادية والفكرية التي صاحبت إنتاج هذا النص وتعايشت مع فترة ولادته، او كانت سببا في نتاجه مع ضرورة الكشف عنها تشريحا ممنهجا، وأهم ميزة يسمو بها النقد الثقافي هي تركيزه على جميع النصوص الخاصة بنخبة المؤلفين المنجين لها بالاضافة إلى اهتمامه بالنصوص الشعبوية ليستنطق مكنوناتها الدفينة التي لم تجد فرصة للبروز إلا تحت شعار جديد وهو النقد الثقافي.

2- **المفاهيم الأساسية في النقد الثقافي:**

2.2. الأنساق المضمرة:

النقد الثقافي يشكل ميكانيزما وثيق الصلة بالأنساق الثقافية المضمرة وهي جملة الدلالات الثقافية التي تنتج في حيزين هامين ، يتعلق الحيز الأول بالجغرافيا التي نشأت فيها، والحيز الثاني ينم عن الحيز التاريخي الذي شكل مندمجا مع الحيز الأول أساسا زمانيا لبروز تلك النتاجات الثقافية غير المرئية على سطور النص لا تظهر للقارئ مباشرة من منطلق أنّ **"الثقافة في كليتها ينظر إليها باعتبارها نسقا من أنساق العلامات"**[3]. ولا يستطيع استكشافها إلا قارئ رصين يمتلك آليات قرائية تنصف تلك المضمرات حقها في البروز.

2.2. التاريخانية الجديدة: new historicism

ظهرت في بداية الثمانينيات من القرن العشرين، سميت سابقا بالجماليات الثقافية، وهي نتاج لمرحلة مابعد البنيوية(post-structuralism) وقد ركزت على قراءة النصوص في إطاريها التاريخي والثقافي مع ضرورة البحث في العوامل الاجتماعية التي شكلت تلكالنصوص وضرورة تأريخها." **إن المؤرخ إذ يؤرخ يعبر ضمنيا عن فلسفة في الحياة لا يتعداها أبدا"[4].**

3.2. المجاز الكلي:

المجازمصطلح محاذ للحقيقة يحمل معنى ثان لا يمتّ لها بصلة. وهو عبارة عن ثقافة تغوص في أغوار بيئة معينة في زمن معيّن، رسمته الشعوب في سجلها الثقافي لتستعمله بهدف التواصل . وعلى سبيل المثال عندما نقول: زيد يده مبسوطة، فإننا لا نقصد معنى بسط اليد المعنى الحقيقي/القريب، بل نروم إلى إيراد المعنى البعيد ير إلى صفة الكرم .

4.2. **"المؤلف المزدوج"[5] double author:**

النص كيان لغوي يحمل في خضمة عناصر صوتية وصرفية وتركيبية ودلالية ويكون في قضايا اجتماعية وسياسية وتاريخية ونفسية لأهداف معينة، يحمل في طياته معان مباشرة ، كما يحمل طابع الكناية والمجاز. وقد يكون هناك مبدع/منتج تجسدت في نصه خطابات ثقافية مضمرة لم تكن له رغبة في جعلها بين سطور نصه، إلا أنها وردت بسبب ثقافة معينة مستلهمة داخل تاريخ تلك البيئة وعاداتها وتقاليدها، مارست حسن التخفي دون وعي الكاتب وحان الوقت لاستخراجها من خلال عملية قرائية واعية.

5.2.كشف عيوب الخطاب detecting defects in speech:

النقد الثقافي يعتبرالنص الأدبي مجموعة من الأنساق الثقافية المضمرة، وجدت في النص بشكل غير معلن دون وعي من الكاتب نفسه، ويتمحور هدفه في الكشف عن عيوب النص/الخطاب والتجوال في أعماق ثقافته غير المعلنة/المتخفية، فهو يتعامل مع هذه النصوص الأدبية من منظور ثقافي واحد وفريد وهو الجانب القبحي فيها، فيبرزها ويكشفها ليكشف في نهاية القراءة إلى مدى تأثيرها على ثقافتنا ووجداننا.

6.2.اعتماد عناصر التواصل(communication elements):

التواصل هو عملية نقل مجموعة من الحقائق والأفكار والمعارف من طرف المرسل إلى المتلقي عبر قناة معينة، ويستلزم عملية الفهم حتى تكون الرسالة أبلغ ضمن ثقافة مفهومة مسبقا فـ" **المفاهيم التي مهما كان نوعها فهي منبثقة عن المناخ الثقافي السائد"[6].**

وركّزعبد الله الغدامي على العناصر الستة التي تشكل مخططا كاملا للتعريف بالعملية التواصلية والتي استنتجها من خلال قراءته لثقافة جاكوبسون وهي المرسل sender – المرسل إليه receiver – الرسالة message/letter – السياق context – الشفرة encryption – أداة الاتصال communication tool، غير انه أضاف اليها عنصرا سابعا وهو النسق " **الذي يحمل الدلالات المضمرة والمسكوت عنها هذه الدلالات مختفية في الخطاب عن طريق حيل صنعتها ثقافة ويختفي النسق بواسطة اللغة وجمالياتها وللوصول لهذه الأنساق يجب ملاحقتها ورفع الغطاء عنها"[7].** وإذا كان جاكبسون يبحث عما يجعل من النص الأدبي

أدبا أو ما أطلق عليه مصطلح أدبية الأدب (literary literature)، فإن الغدامي يبحث في نفس النموذج لكن عن النسق الثقافي المضمروراء عباءة النص المنتج بهدف استكشاف مضمراته.

7.2.الدلالة النسقية gramatical semantics:

إن عبد الله الغدامي أشارإلى ثلاثة أنواع للدلالة فالدلالة الأولى هي دلالة مباشرة تظهر على سطور النص، والدلالة الايحائية المجازية التي تحمل المعنى البعيد وليس القريب هذا المعنى الذي يحتاج إلى قرينة " **وهي التي تحول دون قيام المعنى الحقيقي**"[8]. قد تكون لفظية أو معنوية، والنوع الثالث وهو الدلالة النسقية التي تجعل المعنى كافيا ومكتملا، وهذا النوع من الدلالات يوجد في الخفي، وليس في الوعي، ولا يمكن استكشافها للعيان إلا من خلال الولوج المحكم والقراءة العميقة لما وراء النص بفحصه والكشف عن أغواره من طرف قارئ يمتلك من الآليات القرائية والخبرة الكافية والطريقة الأنموذجية ليتحقق الكشف بعد عملية الولوج.

8.2.الجملة الثقافية cultural sentence :

توجد ثلاث صيغ من الجمل تحمل كل واحدة مفهوما يرتبط بوظيفتها:

1- الجملة النحوية: وهي الجملة التي نلجأ لها لمعرفة المعنى الحقيقي الذي يفهم بقراءة عادية

2- الجملة الادبية: وهي الجملة التي تحمل معنى بلاغيا ورمزيا مسطرا في داخلها.

3- "**الجملة الثقافية المتولدة عن الفعل النسقي في المضمر الدلالي للوظيفة النسقية في اللغة**"[9]. وهي جملة يستعين بها صاحب النص لتمرير رسالة معينة لهدف معين لم تسمح له قوانين الرقابة من تمريرها.

3. رواد النقد الثقافي:

إن ولوج النقد الى عالم ثقافي جديد وانزياحه من السطحية الى العمق ومن الجمال الى القبح شكل جملة من النقاد غربا كانوا أم عربا:

1.3. الرواد الغرب:

- **ميشال فوكو(1926-1984):**

ينحدر من جنسية فرنسية ويعتبر من أبرز نقاد القرن العشرين، تطرق الى مسألة المثقف(intellectual) من حيث دوره في الكشف عن الحقيقة التي تحمل معنيين معنى الصلح ومعنى التصادم وأشار الى ضرورة إنتاج معنى وحقيقة أخرى تتطلب منهجا حفريا دقيقا، فالخطاب هو تحصيل مراقب ويخضع لقانون ممنهج يجمع بين الرغبة والسلطة حيث تستحوذ عليه هذه الرغبة للوصول إلى تلك السلطة.

وقد أشار فوكو إلى أن فكرة النسق هي الشغل الشاغل في العصر الحديث وأن" **ما يخترقنا في العمق، مايوجد قبلنا وما يسندنا في الزمان والمكان كان هو النسق**"[10]. حيث اشار الى فكرة القطيعة الابستيمولوجية مع النزعة الإنسانية وضرورة ظهور ابستيمي جديد في حركة الفكر المعاصر تقوم على أساس واحد و وحيد وهو النظام كما دعا إلى ضرورة حلول مصطلح التحليل بدل مصطلح التأمل.

- **ستيوارت هول Stuart hall (1932):**

اهتم كثيرا في دراساته بالثقافة والأدب الشعبي(culture and folk literature) حيث يعتبر" **مؤلف كتاب الثقافات الشعبية عام 1964م**"[11].

أشار إلى أن الثقافة مفهوم ديمقراطي لا يقتصر تعريفها على أفضل ما يسمع أو يقال أو يدون، بل هي عملية اجتماعية عامة، كما أشار إلى مصطلح المذهب الثقافي باعتباره أسلوب حياة جديد شامل يصوغ القيم والمعاني عبر مجموعة من المؤسسات الاجتماعية.

- **ريتشارد رورتي R.Rorty (1931-2005):**

فيلسوف ومنظرأمريكي براغماتي لديه كتاب هام تحت عنوان" الفلسفة ومرآة الطبيعة" **"يؤمن بالمركزية العرقية ويتّسم بالرضى عن نفسه"**[12].

- **ريموند ويليامز Raymond williams (1921-1988):**

تطرق بإسهاب الى فكرة ابنية الإحساس باعبارها مجموعة من الدوافع والمشاعر الداخلية الأصلية في الفرد قبل أن تمتزج بالعقائد والإيديولوجيات فتحورها بطريقة أخرى/ مغايرة , وأشار إلى أنه قد "**بدأت الجماليات الجديدة في دلالة الشكل والبناء توجه وتدعو وتؤازر وتوصي إلى هذا الحد كان الإصلاح الثقافي الشامل مكتملا تقريبا**"[13]. فمعظم الأفكار/الرؤى التى كان ينظر إليها بعين التهميش/الاحتقار ولم تحتل مكانة في وسائط التواصل الاجتماعيsocial media) أصبحت معتقدات تنتزع طابع الأهمية ووسع النظر في نفس البيئة التي أهملتها يوما ما.

- **بيير بورديو:**

أشار الى مصطلح الرأسمال الثقافي حيث أن مصطلح الرأسمال الثقافي، حيث أن الرأسمال الاقتصادي يشير إلى عائدات بلد ما وثرواته الاقتصادية، والرأسمال الاجتماعي الذي يشكل علاقات تفاعلية بين أفراد المجتمعفي فترة زمنية محددة، ورقعة جغرافية ذات حدود معروفة، أما الرأسمال الثقافي فهو رأسمال رمزي يحمل معنى خاصا في ذهنيات المجتمع، ويرتبط ارتباطا وثيقا بالقدرات التي يكتسبها الفرد من خلال ممارساته التعليمية والبحثية التاريخية التي شكلت مجموعة من التراكمات (accumulation)على مر الزمن فأنتجت معرفة ثقافية تجمع التقاليد والأعراف والأساطير والدين والفنون، يتوارثها المجتمع جيلا بعد جيل، ويشير إلى أن مايميز الطبقة الاجتماعية هو نسبة الرأسمال الثقافي الذي تمتلكه في رصيدها/حوزتها ، والذي من خلاله يكون معيار التفاضل. كما أكد على أن **"غياب النظرية والتحليل النظري للواقع وهو ما تحجبه لغة الجهازينجب مسوخا مشوهةفالشعالر والتحريم يؤديان إلى كل أشكال الإرهاب"**[14].

- **أنطونيو جرامشي A.Gramci (1891-1937):**

"فيلسوف ومنظرماركسي إيطالي صاحب المقالة الشهيرة: الثورة ضد رأس المال"[15]. وأحد المفكرين الذين انطبعت بصماتهم في مضمار الدراسات الثقافية ولد في سردينيا، وسجن في حكم موسولوني، ركز في كتاباته على مجموعة من المصطلحات أهمها الهيمنة domination، والمثقف العضوي organic intellectual، وأشار إلى أن الدول تشكل استقرارها انطلاقا من هيمنة المؤسسات ذات السلطة والهيمنة الثقافية من طرف التعليم عن طريق سياسة الإقناع والتأثير الجماهيري بشتى السبل/الطرق والوسائل لضمان ولوجها الى عالم السيطرة الاجتماعية والتحكم السياسي، فقد أشار في كتابه" أسئلة علم الاجتماع إلى

الدور العظيم الذي يلعبه المثقفون حينما يدركون أن العلم صار أداة لإضفاء صفة الشرعية(legitimacy)على السلطة.

- **تيري فرانسيس إيغلتن Terry francis Eagleton**

ناقد ومثقف ومنظرأدبي بريطاني ذاع صيته وبزغت شهرته في مجال الثقافة، شغل منصب الأتاذية في الأدب الإنجليزي في جامعة لانكاستر البريطانية" **ولد في 23 فيفري 1943 بمدينة سالفورد البريطانية لأبوين ينتميان للطبقة العاملة وذوي أصول عائلة كاثوليكية إيرلندية"**[16]. وقد نشر العيد من الكتب، ترجم بعضها إلى اللغة العربية ومن بينها مذكراته التي قامت دار المدى بنشرها عام 2015 عنوانها "حارس البوابة".

2.3. الرواد العرب:

- **جابر عصفور:**

دافع عن حرية الثقافة والابداع من خلال منجزه"الثقافة والحرية"culture and freedom منوها إلى دورها في الدفاع عن حقوق الفرد والمجتمع.

تطرق في أبحاثه النقدية المتعلقة بالجانب النقدي الثقافي إلى فكرة هامة تتمحور حول ما تطرق اليه عبد الله الغدامي إلا أن فكرته مشت عكس تياره وانرحت عنه بدرجة ملحوظة وقد علق على الطرح الذي تناوله الغدامي في مشروعه النقدي حيث يقول:" **النقد الثقافي له نماذج بارزة في نقدنا الادبي العربي المعاصر ومن أبرز هذه النماذج كتابات الناقد السعودي عبد الله الغذامي الذي أعلن مرة إن لم تخني الذاكرة أن النقد الأدبي مات وما نهض مكانه أو على انقاضه هو النقد الثقافي والواقع أن النقد الثقافي لا يختلف عن غيره من أنواع النقد الأدبي لأنه نقد لايزال ينظر الى النص الادبي بوصفه منتجا ثقافيا ومعنى كونه كذلك أنه منتج بضاعته ثقافة المجتمع الذي أنتجه من خلال اديب متفرد"**[17]. حيث عيّب على الغدامي إعلانه موت النقد الادبي- مثلما فعل العديد من النقاد والمنظرين- هذا الإعلان الذي لقي حملة نقد عنيفة جوبه بها صاحب المقولة فمن حيث الأساس الذي قام عليه النقد الادبي فإنه ظاهر النص بلاغة/فنا/جمالا في حين أن النقد الثقافي تقوم دعامته/ركيزته على إستخراج ماهو كامن في خلايا النص الخفية/المختبئة استظهارا، تحليلا ونقدا فلكل دوره الذي ينبني عليه غير اننا لا يمكننا الولوج إلى عالم المضمر/المبطّن دون المرور على الظاهروبإمكاننا أن نضرب مثلا بقول المتنبي ماحا لسيف الدولة:

أنت شمس والملوك كواكب إذا***طلعت لم يبد منهن كوكب

فظاهر النظم الشعري هو أن سيف الدولة كان كريما/معطاء/سخيا مع شعبه وبقية القبائل/العشائر لكنه يحمل معنى خفيا/غير ظاهر اكتشفناه بعد معرفة المعنى المجازي/الكنائي وهو حب التملك والتسلط حيث ساهم هذا البيت الشعري في صناعة العديد من الملوك قديما والحكام حديثا الذين يحبون السيطرة على العرش لردح طويل من الزمن فيتفننون في الامساك بزمام المنصب رغم رفض الشعب لهم هذا التابع الذي يرونه عديم الإنتاج والتصرف فينسبون حسن التصرف والتحكم بزمام التسيير لأنفسهم. إذن بهذه الطريقة ألم يكن النقد الادبي قد ساهم في عاملين اساسيين هما معرفة المعنى المقصود(the intended meaning) الأول وكذلك تسليم القيادة للنقد الثقافي ليكمل دوره من حيث كشفه لما

يحمله هذا الخطاب من مكنونات/مضمرات لم تكن لا في ذهن القارئ ولا الكاتب بل صنعتها ثقافة المجتمع وتوارثتها عبر الأجيال وبرزت في الأفق ليتلقفها النقد الثقافي فتنكشف خباياها"**وبراعة هذا النوع من النقد تظهر عندما يتصدى النقد الثقافي لمراوغة النصوص الأدبية بعدد مستوياتها التي تنطوي على مسكوت عنه أو اكثر يمكن كشفه أو كشفها فيما بين السطور أو في الطبقات الخفية من النص**"[18].فبعض النصوص تسعى كما أشرنا إلى اختلاق حيلة لتمرير رسالة بطريقة ما يتصدى لها النقد الثقافي ليبرزها ويكشف مستورها.

- **محمد عابد الجابري:**

بحث في النقد الثقافي عن طريق تحليله للمعرفة في الثقافة العربية(arabic culture)، وأشار إلى ضرورة التجديد فيها " **فلماذا لا نملأ ساحتنا الثقافية بقضايا من تراثنا لها علاقة مباشرة باهتمامات شعوبنا، اهتمامات النخبة والشباب والجماهيرقضايا اللغة وتجديدها وقضايا الشريعة وشروط التجديد فيها، وإمكانيات تطبيقها وتطويرها**"[19].حيث لا حظ ولوج النقاد والمفكرين العرب الى الماضي الذي سيطر عليهم عبر حقب/ أزمنة طويلة فاستكانوا إليه وجعلوا منه إله لا يعبدون غيره، ولا يفكرون حتى في التقرب الى سواه، كما أعاب عليهم انبهارهم بالمصطلحات الغربية والبهرجة في دراستها دون إحداث تغيير فيها بل شرحها بحذافيرها وفق ما اتفق عليه الغرب، فأصبحت مجرد نسخ ونقل إن لم تكن سرقات تترجم ليس إلّا.

- **إدوارد سعيد:(1935 - 2003)**

أشار هذا الناقد الفلسطيني من خلال مؤلَّفه "الاستشراق" إلى أن فكرة الاستشراق orientalism تمخضت من خلال العناية/الاهتمام الذي أولته أوربا لبلدان ماوراء البحار كان ذلك تحديدا من خلال حملة نابليون على مصر لتعمم هذه الحملة على بلدان أخرى بهدف تكوين شرق مشرقن فكان الغرب/الآخر هوالناجح فيه على حساب الشرق/التابع، كما نوّه الى فكرة عدم وجود استشراق موضوعي/غيجابي فكل فكرة طبقها الغرب على الشرق إلا وحملت في طياتها/أغوارها نية مضمرة تتمثل في حي السيطرة على هذا الآخر الذي اعتبر سياسة الغرب سياسة حب وآمن بها كما آمنت جوليات بحب روميو لها، وكان ذلك كله لأجل التملك والمصلحة/المنفعة(benefit).

وقد اشتهر إدوارد سعيد برؤيته النقدية التي" **تهدف إلى مساءلة الثقافة الغربية وطابعها الهيمني وما أنتجته من خطابات نقدية ومعرفية**"[20].فكل الدراسات الغربية التي طبقت على الشرق كانت تحمل جانبا نفعيا/براغماتيا تسعى إلى تحقيقه من خلال معرفة نقاط الضعف في هذا الشرق وكيفية الإحاطة بها لهدف استعماره بعكس الوجه البشوش الذي حمله البحاثة والذي عنونوه بزيف البحث والاستفادة والسياحة الثقافية.

- **مالك بن نبي (1905-1973):**

تطرق في دراساته الى مصطلح الثقافة من خلال مفهومه في الدين الاسلامي(islamic religion) عن طريق العناصر الأربعة وهي الأخلاق، الجمال والذوق، المنطق العلمي، والصناعة والتكنولوجيا. كما نوّه بالذكر إلى دور الحربين العالميتين اللتين" **قد عجلتا على كل ثقافة أدركت حقيقة مشكلاتها الداخلية والاتصالية**

أن تدرك حقيقة مشكلات أخرى على مستوى عالمي"[21]. وهو الأمر الذي دفع بشعوب العالم جميعا إلى معرفة حقوقها المهضومة وضرورة استردادها بمختلف الطرق وشتى الوسائل فقد اغتصبتها سياسة الحكام أو المستعمرين وخبأتها بين سطور قمعها فأوقدت الحربان العالميتان نية استردادها/استرجاعها على أكمل صورة وأدق وجه.

- **زكي نجيب محمود (1905-1993):**

يعتبر من أبرز الفلاسفة والمنظرين العرب ويكيفه فخرا بأن وصفه العقاد على أنه فيلسوف الأدباء وأديب الفلاسفة.وقد أشار إلة مهمة الفلسفة في البحث عن المسكوت عنه (unspoken) " **فتكون مهمة الفلسفة هي استخراج ماهو مضمر في أحكامنا وأفكارنا واعتقاداتنا لتنقلها من حالة الكمون إلى حالة العلن"**[22]. حيث أشار إلى مثال هام في حياتنا اليومية فالكثير منا يكون راضيا على أفكاره تمام الرضى في حين إذا استخرجنا له ما تضمره تلك الأفكار من خبايا أصابه الفزع فاستنكر.

- **عبد الله الغدامي :**

يعتبر من أبرز النقاد العرب الذين لاح نقدهم في الأفق وتجسد حضوريا على قالب الدراسات النقدية الواقعية في فكرة النقد الثقافي، فقد أشار الى أن النقد الأدبي أعلن عقمه ويجب أن يحل محله النقد الثقافي ليعبر عن كل ماهو مضمر وقبيح في ثنايا النصوص والخطابات فيبرزها للواقع والتي كانت في الأصل دون وعي من المؤلف نفسه ترسبت وراء ظاهر الخطابات وعبرت عن ثقافة غير ظاهرة ولكنها تحتل درجة عالية من الأهمية لذا وجب استنطاقها والكشف عم مكنوناتها/مضمراتها هذه المهمة يقوم بها القارئ فيخرجها لتظهر ويكشف عنها لتبرز بقوة أكثر عن طريق القراءة التأويلية من طرف قارئ رصين يحيط بكل جولانب وسبل القراءلت الاستكشافيةexploratory readings لفهم ما تعج به النصوص من معارف وخبرات تعكس ثقافة معينة تكون في في أغلب الأحايين ذات طابع قبيح لا تتبدى إلا من خلال سبر أغوارها.

ويرى الغدامي أنه يجب علينا أن ننسب النقد الأدبي إلى الأدب والنقد الثقافي إلى الثقافة.لكن الإشكال الذي وقع فيه هل يمكن أن يحل النقد الثقافي محل النقد الأدبي؟.

لقد ازداد الاهتمام بالنقد الثقافي عربيا خاصة مع صدور كتاب" النقد الثقافي قراءة في الأنساق الثقافية العربية" لعبد الله الغدامي" **خصوصا وأنه أول كتاب عربي يحمل من خلال عنوانه إشارة صريحة إلى تبني النقد الثقافي منهجا في التحليل والدراسة"**[23]. حيث اتهم فيه النقد الأدبي بإضاعة الوقت في دراسة البلاغة والجمال/الفن في حيز ضيق وضرورة توسيع ذلك إلى اعتبار النصوص علامة ثقافية ونسقا مركبا.

4. مدارس النقد الثقافي:

1.4. مدرسة فرنكفورت francfort:

من أبرز المدارس النقدية، أُسست في الربع الثاني من القرن العشرين وتحديدا عام 1923 ووصلت إلى مرحلة النشوة في العام 1968، وقد سميت بهذا الاسم نظرا لأنها استغلت من مدينة فرانكفورت مركزا مكانيا لها من أجل إجراء أبحاثها الاجتماعية .

يعتبر ماكس هوركايمر MAX Horkheimer أباها الروحي عن طريق المجلة التي أشرف عليها والتي وسمها باسم "الدراسات الاجتماعية" وكان ذلك الانجاز عام 1932، ومن أبرز التابعين لتياره/فكره النقدي تيو دور فون أدورنو Theodor.w.Adorno، هاربرت ماركيزHerbert Marcase، وقد أكد روادها على أنه " **لا يمكن تطوير دراسة المجتمع إلا من خلال أوثق أشكال التعاون مع عدد من المباحث العلمية وأهمها الاقتصاد وعلم النفس والتاريخ والفلسفة**"[24].

وقد مرت في ظهورها بمرحلتين هما:

1. **المرحلة الأولى:**

حيث نشأ المعهد برآسة كارل كرسبورغ عام 1923 وخلفه ماكس هوركايمر عام 1929، وركزت هذه المرحلة على تجديد الماركسية وبعث الطبقة العاملة نحو مبدإ الاشتراكية.

2. **المرحلة الثانية:**

إن صعود الجبهة النازية في ألمانيا عام 1933 أثر بشكل كبير على رواد المعهد حيث سلكوا طريقهم متجهين إلى جنيف وبعدها سلكوا وجهتهم نحو باريس ليستقروا أخيرا بأمريكا منتقدين النازية والفاشية بكل من ألمانيا وإيطاليا.

3. **المرحلة الثالثة:**

استعاد كل من هوركايمر وأدورنو أنفاسهما وتنفسا بقدر كبير بعد نهاية الحرب وانهزام النازية وعادا أدراجهما إلى ألمانيا في الوقت الذي رجح ماركوز كفة بقائه في أمريكا، وقد شمل فكرهم النقدي في هذه المرحلة الغوص إلى ثنايا/أعماق المجتمع لتخليص العقل الألماني وفك أوثاقه من الأفكار النازية التي سيطرت عليه نتيجة التشرب الالزامي الذي وقع فيه، وضرورة اجتثاثها/انتشالها من جذورها، وقد التحق يورغن هبرماس بمدرسة فرنكفورت ليصبح من أبرز ممثليها والذين دعوا إجمالا إلى ضرورة الاستمرار على أسسها المنهجية وإكمال تنظرها على خطى ثابتة وفق ما تأسست من أجله والموسومة بالتجديد من أجل المجتمع، والمصلحة العامة المشتركة بين أفراد المجتمع الواحد.

وأهم فكرة طرحها هوركايمرهي نقد العقل الأداتي وعصر الأنوار من منطلق أن النظرية النقدية ليست نظرية للحقيقة مع أنها تحاول الوصول إليها بل هي بديل يتصدى للتيارات الفكرية والفلسفية التقليدية التي هيمنت على تاريخ الفلسفة وقوضته.

2.4. مدرسة النقد الجديد:

تعتبر من أبرز مدارس النقد الثقافي ظهرت في باريس منتصف القرن العشرين، وقد ركزت في دراساتها البحثية والنقدية الثقافية على العناصر الثقافية من حيث ضرورة ربطها بالنصوص الأدبية حيث استند روادها في دراساتهم المنهجية على جملة من المناهج في ضفاف عديد من العلوم مثل الدراسات الأنثروبولوجية، ومدرسة التحليل النفسي، والمنهج التاريخي والمنهج الاجتماعي من أجل استكشاف/ استظهار

كل الظروف التي ساعدت على نتاج هذه النصوص.وقد حملت في طياتها ثلّة من النقاد والمنظرين الذين أسهموا في إيقاد فتيل نجاحها من بينهم(جون بيرسار)،(جاستون بشلار)،(لوسيان جولدمان)،(رولان بارت). وتجدر بنا الإشارة إلى أن مدرسة النقد الجديد الفرنسية قد نمت وترعرعت على جسد المدرسة النقدية الانجلوأمريكية التي انهارت مع بداية الستينيات بعدما تعرضت لحملة نقد شرسة من طرف المفكرين في جامعة شيكاغو في أواخر العقد الخامس وفتح المجال واسعا لمدرسة النقد الجديد لتبلور أفكارها وتطورها تحديدا بفرنسا. وأهم خاصية اتبعها رواد هذه المدرسة النقدية هو التركيز على العمل الأدبي ككل مركب، وككائن حي متماسك عضويا فـ"**من بين معاني(استقلالية الأدب أن الإحالة إلى العالم(المرجع) مجرد وهم يعيق فهم الأدب على حقيقته أما البديل عن هذا العالم فهو النص الذي أضحى هو الوسيلة والغاية، ومصدر لأي حقيقة حول الأدب.لم يعد الأدب يتحدث عن العالم بل هو يتحدث عن نفسه، الأمر الذي أثر جذريا على علاقته بمؤلفه، وعلاقته بتقاليد القراءة، وبالمعنى**"[25]. دونما إعطاء الاهمية لاعتبارات أخرى كحياة صاحب النص(authors life)، السياقات الخارجية(external contexts)، البيئة التي نشأ فيها، لأن الأدب ليس نقلا لمشاعر الأديب وعواطفه بل هو صورة مغايرة تماما لذلك، لأنه قد ينقل لنا صورة تختلف عن الواقع الحياتي المألوف، كما أن اللغة الأدبية تمتاز بطابعها اللامرجعي فهي لا تحيل إلى العالم الموجود خارجها بل تحيل لنفسها فقط. وقد تشرب الفكر العربي الحديث مبادئ هذه المدرسة عن طريق المفكر والمنظر"رشاد رشدي".

3.4. مركز برمنجهام للدراسات الثقافية(centre for contemporary cultural studies):

"**حينما نلاحظ المسيرة التاريخية التي قطعها مركز برمنجهام للدراسات الثقافية نلاحظ أنه خضع لسلطة العديد من المذاهب والتيارات الفكرية مثل الماركسية والثقافوية والبنيوية ومابعد البنيوية ومابعد الحداثة إلى جانب تأثره بمختلف المبادئ الابستيمولوجية المطروحة من قبل دعاة مابعد البنيوية**"[26]. وما يفهم من هذه المقولة أن مركز برمنجهام قد تشبع من خلال منظريه بعديد بعديد من المنابع والتيارات الفكرية التي أسهمت الى أبعد الحدود في جعله مركزا خصبا ومنبعا مؤسساتيا للدراسات الثقافية الحديثة.إنه ذلك الغلهام الذي انتظره النقد الثقافي لسنوات طوال ليؤسس له ويجعل من مركزه حقلا فعالا للفكر والرؤى الثقافية المختلفة التي تسود مجتمعا ما،" **وفي عقد الخمسينيات من القرن المنصرم وضعت الدعائم الاساسية لهذا المركز بمدينة برمنجهام كمقر ثقافي تتمحور نشاطاته حول دراسة وتحليل الواقع الثقافي لعامة الناس**"[27]. وقد وضع حجره الأساس الباحث الاجتماعي والمنظر البريطاني ريتشارد هوغرت richard Hoggart في خضم الدراسات الثقافية المعاصرةعام 1964 فقاد تأطيره ثم أسندت مهمة تسييره للباحث ستيوارت هول إلى غاية 1979 حيث أشرف على إصدار مجلة الأعمال العلمية في الدراسات الثقافية وكان ذلك عام 1972.ومن هذا الأساس فقد تعددت موضوعات هذا المركز في أغوار وحقول التعليم والأنثروبولوجيا والأثنوغرافيا والقضايا التي تشغل الرأي العام والتي تتخلل طبقات المجتمع المختلفة وتنبثق من بين فئاتها في مجالي الإعلام والثقافة.

الخاتمة:

- دراسات ما قبل البنيوية اهتمت بالنصوص الأدبية من حيث جماليتها وبلاغتها.

- مابعد البنيوية أعطت أهمية بالغة الأثر للنص الأدبي في حيزه الثقافي ضمن زمان ومكان محددين.
- الدراسات الهامشية نقلت الادب نقلة نوعية من النخبة إلى الطبقات الشعبوية.
- النقد الثقافي يحتاج إلى قارئ نموذجي تتكشف من خلال قراءته للنص المضمرات العيبية الخفية تحت عباءة هذا النص.
- النقد الثقافي لا يمكن أن يكون بديلا للنقد الأدبي، بل منهج قرائي مكمل له يسعى لإضافة الجانب القبحي بعد الجمالي.
- النقد الثقافي قلب موازين القوى التي سيطرت على عرش الأدب/التأليف لردح طويل من الزمن وجاء الوقت لاسترداد الأقليات حقها في البروز.

الهوامش والإحالات:

[1] إدريس الخضراوي: الرواية العربية وأسئلة مابعد الاستعمار، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 2012، ص10.

[2] إدريس الخضراوي: الأدب موضوعا للدراسات الثقافية، جذور للنشر، الرباط، ط1، 2007، ص.39

[3] أحمد سامي شهاب: ومضات نقدية في تحليل الخطابين الأدبي والنقدي، دراسة في الشعر والنثر، ونقد النقد، دار غيداء للنشر والتوزيع، ط1، 2012، ص.199

[4] عبد الله العروي: ثقافتنا في ضوء التاريخ، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، ط4، 1997، ص.16

[5] عبد الله الغذامي عبد النبي أسطيف: النقد الثقافي قراءة في الأنساق الثقافية العربية، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2000، ص.74

[6] محمد مفتاح: المفاهيم معالم، نحو تأويل واقعي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط1، 1999، ص.117

[7] عبد الله الغذامي: النقد الثقافي قراءة في الأنساق الثقافية العربية، ص.77

[8] عبد الغني بارة: الهرمينوطيقا والفلسفة نحو مشروع عقل تأويلي، الدار العربية للعلوم،الجزائر، ط1، 2008،ص468.

[9] المرجع السابق، ص.74

[10] لونيس بن علي: إدوارد سعيد من نقد خطاب الاستشراق إلى نقد الرواية الكولونيالية؛ دار ميم للنشر،الجزائر، ط1، 2018، ص.91

[11] حسين حاج محمدي: مدرسة برمنجهام، ماهيتها ورؤاها في بوتقة النقد والتحليل، تعريب أسعد الكعبي، المركز الإسلامي للدراسات الاستراتيجية،بيروت، لبنان، ط1،2019، ص.26

[12] ريتشارد وولين: مقولات النقد الثقافي، مدرسة فرانكفورت، الوجودية، مابعد البنيوية، ترجمة محمد عناني، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ط1، 2016، ص.81

[13] رايموند ويليامز: طرائق الحداثة، ترجمة فاروق عبد القادر، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1990، ص.69

[14] بيير بورديو: أسئلة علم الاجتماع حول الثقافة والسلطة والعنف الرمزي، ترجمة إبراهيم فتحي، دار العالم الثالث، القاهرة، ط1، 1995، ص.22

[15] حسين حاج محمدي: مدرسة برمنغهام ماهيتها ورؤاها في بوتقة النقد والتحليل، تعريب أسعد مندي الكعبي، المركز الإسلامي للدراسات الاستراتيجية، بيروت، لبنان،ط1،2019،ص25-.26

[16] تيري إيغلتن: الثقافة، ترجمة لطيفة الدليمي، دار المدى، بيروت، لبنان، ط1، 2018،ص.11

[17] جابر عصفور: تحديات الناقد المعاصر، دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 2014، ص.26

[18] المرجع نفسه، ص.26

[19] محمد عابد الجابري: بنية العقل العربي، دراسة نقدية تحليلية لنظم المعرفة في الثقافة العربية، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان،ط9،2009،ص.562

[20] لونيس بن علي: إدوارد سعيدمن نقد خطاب الاستشراق إلى نقد الرواية الكولونيالية، دار ميم للنشر، الجزائر، ط1،2018،ص.16

[21] مالك بن نبي: مشكلات الحضارة، مشكلة الثقافة، ترجمة عبد الصبور شاهين، دار الفكر، دمشق، سورية، ط4، 2000، ص.116

[22] زكي نجيب محمود: تجديد الفكر العربي، دار الشروق، بيروت، لبنان، ط9، 1993، ص.262

[23] إدريس الخضراوي: الأدب موضوعا للدراسات الثقافية، ص53

[24] ريتشارد وولين: مقولات النقد الثقافي، ص.81

[25] لونيس بن علي: إدوارد سعيدمن نقد خطاب الاستشراق إلى نقد الرواية الكولونيالية، دار ميم للنشر، الجزائر، ط1،2018،ص .177

[26] حسين حاج محمد: مدرسة برمنجهام، ص.178

[27] المرجع نفسه، ص9.

قائمة المصادر والمراجع:

1- أحمد سامي شهاب: ومضات نقدية في تحليل الخطابين الأدبي والنقدي، دراسة في الشعر والنثر، ونقد النقد، دار غيداء للنشر والتوزيع، ط1، 2012.

2- إدريس الخضراوي: الأدب موضوعا للدراسات الثقافية، جذور للنشر، الرباط، ط1، 2007.

3- إدريس الخضراوي: الرواية العربية وأسئلة مابعد الاستعمار، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 2012.

4- بيير بورديو: أسئلة علم الاجتماع حول الثقافة والسلطة والعنف الرمزي، ترجمة إبراهيم فتحي، دار العالم الثالث، القاهرة، ط1، 1995.

5- تيري إيغلتن: الثقافة، ترجمة لطيفة الدليمي، دار المدى، بيروت، لبنان، ط1، 2018.

6- جابر عصفور: تحديات الناقد المعاصر، دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 2014.

7- حسين حاج محمدي: مدرسة برمنجهام، ماهيتها ورؤاها في بوتقة النقد والتحليل، تعريب أسعد الكعبي، المركز الإسلامي للدراسات الاستراتيجية،بيروت، لبنان، ط1.2019.

8- رايموند ويليامز: طرائق الحداثة، ترجمة فاروق عبد القادر، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1990،

9- ريتشارد وولين: مقولات النقد الثقافي، مدرسة فرانكفورت، الوجودية، مابعد البنيوية، ترجمة محمد عناني، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ط1، 2016.

10- زكي نجيب محمود: تجديد الفكر العربي، دار الشروق، بيروت، لبنان، ط9، 1993.

11- عبد الغني بارة: الهرمينوطيقا والفلسفة نحو مشروع عقل تأويلي، الدار العربية للعلوم،الجزائر، ط1، 2008.

12- عبد الله العروي: ثقافتنا في ضوء التاريخ، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، ط4، 1997.

13- عبد الله الغذامي عبد النبي أسطيف: النقد الثقافي قراءة في الأنساق الثقافية العربية، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2000.

14- لونيس بن علي: إدوارد سعيد من نقد خطاب الاستشراق إلى نقد الرواية الكولونيالية؛ دار ميم للنشر،الجزائر، ط1، 2018.

15- مالك بن نبي: مشكلات الحضارة، مشكلة الثقافة، ترجمة عبد الصبور شاهين، دار الفكر، دمشق، سورية، ط4، 2000.

16- محمد عابد الجابري: بنية العقل العربي، دراسة نقدية تحليلية لنظم المعرفة في الثقافة العربية، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان،ط1.2009.